

ب- وثائق أساسية



حيثيات تحرير وطبع وتوزيع «نداء جيش التحرير الوطني» في أول نوفمبر 1954⁽¹⁾

أ. ميعادي جمال الدين

مدير مركز الدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

cnerdirection@gmail.com

د. سعداوي مصطفى

أستاذ محاضر جامعة البويرة

salisada@gmail.com

أ. سامية خامس

باحثة مركز الدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

khsomia1970@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/01/23 تاريخ القبول: 2020/01/23

على الرغم من الأعباء الكثيرة التي كانت تثقل كاهل مؤسسي جبهة وجيش التحرير الوطني عشية انطلاق ثورة أول نوفمبر 1954، إلا أن إصدار نداء باسم جيش التحرير الوطني (أنظر الملحق) يدعو الشعب الجزائري إلى الانخراط في معمرة الكفاح المسلح، إلى جانب بيان باسم جبهة التحرير الوطني يعلن للعالم أهداف الثورة وبرنامجهما، ظل في صميم انشغالناهم. ولهذا الغرض، بادرت لجنة الست (بن بولعيد، بن مهيدي، بوضياف، بيطاط، ديدوش، كريم) في اجتماع 10 أكتوبر 1954 إلى وضع الخطوط العريضة لتينك الوثيقتين مع تكليف كل من محمد بوضياف ومراد ديدوش بضبطهما وتحريرهما (224-223: 1992، Courriere؛ بوعزيز، 2004: 39؛ قليل، 1991: 183). ولإنجاز هكذا مهمة، استعان الأخيران بالصحفي المناضل محمد العيشاوي²، حيث التئم شمل الثلاثة عدة مرات في محل الخياطة المملوك للمناظر عيسى كشيدة والكائن بممر "الكوف"

1- نظرا لكون إنجاز «نداء جيش التحرير الوطني» تم في ذات الظروف وبنفس الطريقة مع بيان أول نوفمبر 1954، فإنه لم يكن بدّ من أن يشمل الحديث في أغلب فقرات هذا النص الوثيقتين معا.

2- ولد محمد العيشاوي المدعو سي مصطفى في 23 جانفي 1929 بقرية سي مصطفى التي أخذت اسمه بعد الاستقلال وكانت تدعو سابقا بـ «فليكس فور» وهي تتبع حاليا ولاية بومرداس. وبعد وفاة والده وهو لا يزال طفلا صغيرا، اضطرت أمه إلى الانتقال إلى العاصمة والاستقرار بواد كنيس (رويسو) وفرضت الوضعية الاجتماعية الصعبة على الصبي محمد ترك الدراسة والدخول في الحياة العملية مبكرا، وذلك في محل نجارة أولا ثم في أمانة مكتب محامي فرنسي. وتأثر منذ صباه بالجو المفعم بالوطنية الذي كان سائدا في مدينة الجزائر وبالأخص في حي بلكور، ما جعله ينخرط باكرا في النضال الوطني في إطار حزب الشعب. وفي 1950 سافر إلى فرنسا، حيث قضى نحو سنتين في الدراسة والتكوين في مجال العمل الصحفي، كما تعرف على شخصيات لعبت دورا بارزا في تجميع ثورة 54، بالأخص بوضياف وديدوش. وفي 1953 عاد إلى الجزائر، ولما دنا موعد الثورة استعان به بوضياف وديدوش لتحرير ورقن وسحب كل من بيان إعلان الثورة ونداء جيش التحرير. وبسبب ذلك، ألقي عليه القبض في 16 نوفمبر 54. وتعرض للتعذيب، وسجن لمدة 18 شهرا. ولما أفرج عنه التحق بالثورة في الولاية الرابعة. وعمل في مصلحة الإعلام إلى أن سقط شهيدا في غضون 1959.

على طريق باب الواد. وخلالها تولى كل من بوضياف وديدوش اقتراح الافكار التي تضمنتها الوثيقتين، وذلك على ضوء ما جرى الاتفاق عليه في إطار «لجنة الست» مع الاستئناس بأدبيات حزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية، سيما لوائح مؤتمره الثاني المنعقد بالعاصمة في أبريل 1953 (97 : 2001 Kechida)؛ عباس، 2009). وفي المقابل، تكفل العيشاوي بصياغة تلك الافكار بلغة فرنسية راقية تجمع بين وضوح المعنى وجمال المبني (97 : 2001 Kechida).

وبعد الفراغ من صياغة الوثيقتين، قامت لجنة الست بمراجعتهما والمصادقة عليهما في اجتماع 24 أكتوبر بمنزل مراد بوقشورة الكائن بـ «رايس حميدو» (بوانت بيسكاد سابقا Pointe Pescade)³ (Boudiaf, 1974؛ 262-263: Courriere, 1992). وعندها طُرحت مشكلة رغن وبالأخص سحب الوثيقتين، فأُعلم كريم بلقاسم رفاهه بتوفر منطقة القبائل على آلة سحب⁵ لكن لا يوجد من يحسن تشغيلها، فتعهد ديدوش بالعثور على الشخص المناسب. وهكذا، جرى انتداب العيشاوي ثانية لمواصلة المهمة، لكن هذه المرة بالتنقل الى منطقة القبائل والاضطلاع بعملية الرغن والسحب في سرية تامة (249: Courriere, 1992) (بوعزيز، 2004: 39؛ عباس، 2009). وفي هذا الاطار، قام مناضلون من بلكور -بتوجيه من ديدوش- بربط الاتصال بين العيشاوي وعمار أو عمران الذي اصطحبه الى مدينة تيزي-وزو، وهناك تكفل علي زعموم بنقله بواسطة سيارة أجرة الى قرية «ايغيل إيمولا» (160: Zammoum, 1993؛ 249-250: Courriere, 1992) (عباس، 2001: 166). في هذه الاخيرة، وتحديدًا في مسكن المناضل عمرين رمضان، رغن العيشاوي الوثيقتين على «استانسيل»، ثم انتقل الى مسكن رابع ايدير الذي كان أحد أربع (أو خمس) منازل تتوفر على الكهرباء في القرية، ليقوم بسحبهما على آلة الرونيو (160: Zammoum, 1993). ووفق كشيدة (2001: 97) فقد تم سحب 2300 نسخة من النداء و1000 نسخة من البيان⁶. وللتغطية على الضجيج الذي كان يحدثه تشغيل آلة الرونيو، سيما وأن مسكن ايدير كان في الطابق العلوي لمحل تجاري يقع وسط القرية، نظم صاحب المحل بمعية مجموعة من المناضلين لعبة يانصيب، كان الغرض منها إثارة الأصوات والهتاف (161-160: Zammoum, 1993).

3- تحديدًا في 24 شارع بشير بديدي (شارع الكونت غيبة سابقا Comte Guillot)

4- من اللافت أن بوضياف يتحدث عن ثلاث وثائق أو منشورات صادقت عليها «لجنة الست» وليس اثنتين فقط (أي البيان والنداء)، لكن دون تقديم أي تفاصيل، سيما بخصوص الوثيقة الثالثة (؟)

5- تشير بعض المصادر الى أن آلة السحب (الرونيو) المعنية كانت ملكا لعبان رمضان الذي كان أنفذ في السجن. وقد تولى ثلاث مناضلين نقلها من قريته الى قرية عبد المؤمن، ثم تكفل ثلاثة آخرون (هم على زعموم وسعد محمدي وعمرين رمضان) بنقلها الى قرية إغيل إيمولا حيث جرت عملية طبع نداء وبيان أول نوفمبر. (Ouali Ait Ahmed, 2011)

6- يتحدث إيف كوريير (1992: 249) عن سحب ما بين 450 و500 نسخة من كل منشور.

بعد اكتمال العملية، وذلك -على الأرجح- في ليلة 27 أكتوبر 1954، كان لا بد من نقل تلك الوثائق إلى العاصمة بأسرع ما يمكن حتى يتم توزيعها على المستويين الوطني والدولي قبل الساعة صفر. فأوكل علي زعموم المهمة إلى مناضل يدعى محند ألكي بن شعبان، وهو ذات الشاب الذي كان قد نقل مسودتي البيان والنداء من العاصمة إلى قرية «إغيل إيمولا» قبل أيام. فما كان من المعني -وفق شهادته- إلا أن عمد إلى وضع مئات النسخ المطبوعة في حقيبة جلدية، واستقل حافلة نقل الركاب باتجاه العاصمة، ولتبيد الشكوك وضع الحقيبة أمام السائق بينما ركب هو في مقعد خلفي قام بتمزيقه ليدس في جوفه ظرفا يحوي وثائق كان يجهل فحواها (مسودتي البيان والنداء). وبعد رحلة محفوفة بالمخاطر، سلم الأمانة إلى مناضلين كانوا في انتظاره في أحد المقاهي الشعبية بحي بلكور (نقلا عن: Hacène Arab, 2014).

وهكذا أضحي بالإمكان توزيع الوثيقتين على أوسع نطاق ممكن، وهو ما تكفلت به -بشكل خاص- خلية اللوجستيك على مستوى مدينة الجزائر⁷، إذ استعانت بالدليل الهاتفي للحصول على عناوين أكبر عدد ممكن من الشخصيات الجزائرية والأوروبية واليهودية وكذا مقرات الجرائد والقنصليات الأجنبية... وأرسلت إليهم الوثيقتين عن طريق البريد (Kechida, 2001 : 96).

وهنا لا تفوتنا الإشارة إلى أنه وعلى الرغم من أن بيان جبهة التحرير الوطني هو الذي ذاع صيته أكثر إلا أن نداء جيش التحرير الوطني هو الذي تمت طباعته بأعداد أكبر وتوزيعه بشكل أوسع عشية انطلاق الثورة (Courriere, 1992 : 263). هذا، وبينما تعمد محررو الوثيقة الأولى (البيان) أن تكون مطولة ومفصلة لكونها تستهدف -بالأساس- السلطات الاستعمارية والرأي العام العالمي، ارتأوا أن تتصف الوثيقة الثانية (النداء) بالبساطة والمباشرة والإيجاز لأنها تخاطب عموم الشعب الجزائري (Courriere, 1992 : 262).

خاتمة

وفي الأخير، فإذا كان «لا تاريخ بلا وثائق» -كما يتفق جمهور المؤرخين- فإن وثيقة «النداء» التي هي بين أيدينا هي الوثيقة الأولى على الإطلاق التي صدرت باسم جيش التحرير الوطني. ومن ثم فهي تمثل -بحق- شهادة ميلاد ثورة أول نوفمبر 1954 وهذا -طبعا- إلى جانب

7- كانت الخلية تتكون من عيسى كشيدة ومراد بوقشورة ونايت مرزوق ومصطفى زرقاوي باستثناء مسعودي الذي كان طريق الفراش (كشيدة، 2003 : 104)

وثيقة «البيان» التي تجسد أرضيتها السياسية. وتعتبر هذه الورقة شروع جاد في تسليط الضوء عليها والتعريف بها بصورة أوسع وعرض حيثياتها والعمل على ترجمتها إلى لغات أخرى⁸ في أعداد لاحقة. وهي كذلك دعوة للباحثين لإيفائها ما تستأمله من عناية ودراسة... سيما وأن استفهامات كثيرة واشكالات جمة لا تبرح تطوّقها، على غرار عدم ترجمتها إلى اللغة العربية عند صدورهما ولا إذا عتبا عبر الأثير من القاهرة كما هو شأن توأمتها (وثيقة البيان)؟ وبالأخص لماذا تعرضت لنوع من النسيان مع أنها الوثيقة الأكثر طباعة والأوسع توزيعا عشية ليلة الصفر؟

قائمة بأهم المصادر:

- بوعزيزي، 2004، الثورة في الولاية الثالثة 54-1962، ط1، دار الأمة، الجزائر.
- عباس محمد، 2001، فرسان الحرية، دارهومة، الجزائر.
- عباس محمد، 2009، «الصحفي الشهيد محمد العيشاوي.. منجز بيان فاتح نوفمبر.. صياغة ورقنا وسحب..»، الشروق اليومي، 14 ديسمبر 2009، الجزائر.
- قليل عمار، 1991، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء 1، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.
- كشيدة عيسى، 2003، مهندسو الثورة، ترموسى أشرشور، منشورات الشهاب، باتنة، الجزائر.
- AIT Ahmed Ouali, 2011, «1er Novembre 1954 à 00H ou La Nuit du Destin», in Le Soir d'Algérie, 31 Octobre 2011. Voir aussi : <http://www.dzconfidentiel.com/>
- Arab Hacène, 2014, «Naissance d'un texte fondateur : La Proclamation du Premier novembre 1954», in Aleph, n°1, pp : 32-40.
- Boudiaf Mohammed, 1974, «La préparation du 1° novembre 1954», in EL Djarida, N° 15 nov.-dec. 1974.
- Courriere Yves, 1992, La guerre d'Algérie : les fils de la toussaint, Ed. Rahma, Alger.
- Kechida Aissa, 2001, Les architectes de la révolution, Ed Chihab, Alger.
- Zamoum Ali, 1993, Tamurt Imazighen : Mémoire dun survivant 1940-1962, ed Rahma, Alger.

8- إن اللغة التي كتبت بها هذه الوثيقة في الأصل هي الفرنسية وذلك لكون المشرفين على كتابتها والمحررين كانوا يحسنون هذه اللغة أحسن من اللغة العربية.

Annexe

Armée de Libération National

Appel

Peuple algérien ;

A l'exemple des peuples qui ont brisé les chaînes de l'esclavage et de l'oppression ;

En accord avec tes frères marocains et tunisiens auxquels tu es lié par des siècles d'histoire, de civilisation et de souffrance, tu ne dois pas oublier un seul instant que notre avenir à tous est commun.

Par conséquent, il n'y a pas de raison pour ne pas unifier, confondre et intensifier notre lutte. Notre salut est un et notre délivrance est une. Dissocier le problème maghrébin, c'est aller contre une réalité historique qui, à dater de 1830, fait notre malheur à tous.

En outre, pense un peu à ta situation humiliante de colonisé, réduit sur son propre sol à la condition honteuse de serviteur et de misérable surexploité par une poignée de privilégiés, classe dominante et égoïste qui ne cherche que son profit sous le couvert fallacieux et trompeur de civilisation et d'émancipation.

A propos de civilisation, nous rappelons quelques dates illustres : 1830 avec ses rapines et ses crimes au nom du droit du plus fort ; 1870 suivie de massacres et d'expropriations qui ont frappé des milliers d'Algériens ; 1945 avec ses 40 000 victimes ; 1948 et ses élections à la Naegelen ; 1950 avec son fameux complot. Comme tu le constates, avec le colonialisme, la Justice, la Démocratie, l'Égalité ne sont que leurre et duperie destinés à te tromper et à te plonger de jour en jour dans la misère que tu ne connais que trop. Si à tous ces malheurs, il faut ajouter la faillite de tous les partis politiques qui prétendaient te défendre, tu dois te convaincre de la nécessité de l'emploi d'autres moyens de lutte.

C'est pourquoi, conscients de la gravité de l'heure, au coude à coude avec nos frères de l'Est et de l'Ouest qui meurent pour que vivent leur patrie respective, nous t'appelons à secouer ta résignation et à relever la tête pour reconquérir ta liberté au prix de ton sang.

Dans ce domaine, nous savons ce dont tu es capable, mais au départ nous voulons attirer ton attention sur la manière de servir les forces de libération qui, pour ton bonheur, ont fait le serment sacré de tout sacrifier pour toi.

1- Reste calme et discipliné. Ne te laisse pas aller au désordre qui ne peut servir que l'ennemi.

2- Ton devoir impérieux est de soutenir les frères combattants par tous les moyens

3- Sois vigilant. L'ennemi te guette et surveille tes moindres gestes pour gêner ton action

Prends garde aux faux communiqués, aux mensonges, à la corruption, aux promesses dont le but est de te détourner de la voie que nous ont dictés notre religion et notre devoir national.

Pour finir :

- Toute inattention peut coûter la vie à des hommes.
- Toute indiscretion peut engendrer des conséquences graves.

Donc, sans perdre une minute, organise ton action aux côtés des forces de libération à qui tu dois apporter aide, secours et protection en tous lieux et en tous moments.

En les servant, tu sers ta cause.

Se désintéresser de la lutte est un crime.

Contrecarrer l'action est une trahison.

Dieu est avec les combattants des causes justes et nulle force ne peut les arrêter désormais, hormis la mort glorieuse ou la libération nationale.

Vive l'Armée de libération !

Vive l'Algérie indépendante!

Source : Aissa Kechida, "les architectes de la révolution Témoignage", Chihab Editions, 2001, pp 197-198.